الطقوس التعبدية عند الحركات السلفية الجديدة

أ/ أبو اللوز عبد الحليم

جامعة مراكش، المملكة المغربية.

Summery:

The following research orbits around two basic concepts: Salafism and the Ritual. Salafism refers to a contesting trend against the innovations witnessed by tow of religious layers: the intellectual and the cult. On the hand, salafism is concerned with the recordification of religion on a dogmatic level for the aim of metaphysical and ethical guidance recated to doctrines as they are lived. On the other hand, slafism recocodification is concerned with the ritual on unifying its models, diction, signs and

predispositions so as to preserve the original ritualistic activities against religious innovations.

As for the ritual, it is the basic. Means by which religious ideologies preserve the faiths of the individual and the group. On practicing their cult adepts does not only support the view of the world acquired by through religious doctrine bay also internalize this view from which their judgement about ideas living religious activities are originated from.

The research aims at recognizing the role and importance of the ritual for the salafists, especially after being fore grounded by the event of 11 September 2001 which is considered bay many to be caused by the doctrine adopted by these organisations as they supply theoretical references for the event. They were also accused bay many to be directly responsible for what had happened on supplying a logistic support and human arsenal. Thus salafism became an important phenomenon and a subject on the light of which the word strategic and national politics are drawn, even in Arabic and Islamic nations

1- مدخل نظري:

يقوم البحث التالي على مفهومين مركزيين وهما السلفية والطقس التعبدي، فالبنسبة للسفلية، يعسر تعريف هدا المفهوم نظرا لاستعماله في سياقات عديدة في عالم اليوم، لكننا وانطلاقا من اشتغال طويل حول مختلف نواحي اشتغال الحركات السلفية النشطة اليوم في المغرب خاصة وفي العالم عامة، خلصنا إلى تحديد مقصودنا من هذا المفهوم ، إذ يرمز مفهوم السلفية إلى نزعة احتجاجية على التطويرات التي طرأت على المستويين من مستويات الدين ، المستوى الفكري والتعبدي، فمن جهة تهتم النزعة السلفية بعملية إعادة تقنين الدين على المستوى العقدي ، هادفة إلى الترشيد الميتافيزيقي والأخلاقي للعقائد كما هي موجودة بالفعل، و تنصرف، من جهة أخرى، إلى إعادة تقنين الشعائر الدينية، بتوحيد نماذجها، كلماتها، إشاراتها وإجرائاتها، لكي يحافظ على النشاط الشعائري الأصلي في مواجهة البدع المستجدة.

من الناحية الميدانية تتمظهر هذه النزعة الدينية وتتجلى في حركات ذات طابع طائفي، وهي بالتعريف حركات تحاول ضمان الاستقلالية تجاه العلاقات الاجتماعية السائدة، إنها حركات اجتماعية تتبنى تدينا طائفيا راديكاليا ترفض

بموجبه المؤسسات الاجتماعية والسياسية، وتنزع الى الحفاظ على أقصى حد من الحرية تجاه ما درج عليه المجتمع الرسمي من عادات وسلوكيات دينية، مستوحيا طقوسه الخاصة من مذهبية دينية أخرى، أو من تأويل مختلف للديانة الرسمية.

من حيث أهمية هذا الموضوع يمكن اعتبار موضوع الحركات السلفية بدون مبالغة موضوع الساعة بلا منازع، بالنظر إلى الظرف التي تجري فيه الدراسة، فقد أثارت أحداث 11 شتنبر2001 بالولايات المتحدة الأمريكية انتباه العالم إلى هذه الحركات، واعتبرت العديد من الأوساط أن المذهبية التي تعتنقها هذه التنظيمات مسؤولة أدبيا عن ما جرى لأنها وفرت المرجعيات النظرية التي أطرت تلك الأحداث، كما اهتمت العديد من تلك الحركات بالمسؤولية المباشرة لتوفيرها الدعم اللوجستيكتي والترسانة البشرية بغرض تنزيل البعد المعياري للمذهبية السلفية على أرض الواقع. لذلك، أصبحت الظاهرة مثار اهتمام كبير، وموضوعا ترسم في ضوئه الاستراتيجيات الدولية، وتوضع السياسات العامة الوطنية خصوصا بعد تكرار تلك الأحداث في أكثر دولة، بما فيها الدول العربية والإسلامية.

أما بالنسبة للطقوس التعبدية فإنها من الأطر الاساسية التي تعمل عبرها لإيديولوجيات الدينية، إذ بواسطتها يحافظ على إيمان الفرد والجماعة، فعند ممارستهم للعبادة لا يقوم المتدينون بتدعيم رؤية العالم التي أكسبتهم إياها المذهبية الدينية فحسب، وإنما باستبطان تلك الرؤية والصدور عنها في مختلف مواقفهم وأحكامهم على الأفكار والسلوكيات الدينية المعاشة. فبدون طقوس، لا يمكن للعقيدة تستمر في الانتشار والتعبئة. (Le Bras G 1955: Tome 1, 222-223) وبالتالي فللطقوس دور محافظ (un role consercateur)، (نور الدين طوالبي.1988: 143) يتجلى في أنها تبقي المذهبيات الدينية كامنة في النفوس، حتى في المراحل الذي تخفت فيه المجهودات الرامية إلى بثها بفعل ما يكمن ان تشهده الظروف الثقافية والاجتماعية والسياسية المحيطة بها من تقلبات، (Le Bras G 1955: Tome 1, 223) أو ما تتعرض له من ردود أفعال منكرة و مبطلة من المحيط. (Le Bras G 1955: Tome 1, 222-223)

وبالنسبة للطوائف الدينية، فعلى الرغم من مراهنتها على بث المذهبية الدينية ، فإن ذلك لا ينتج أثره فيما يتصل بالتعبئة وانتداب الأتباع، خصوصا وأن المذهبيات الطائفية تنشئ وتتطور دائما في مناخ الجدل المعياري الهادف إلى ادعاء الصلاحية وسلبها عن المذهبيات الأخرى، لذلك فإن مهمة الإنتاج والبث الإيديولوجي الذي تمارسه الطائفة الدينية يبقى قليل الإنتاجية، إذا لم يقع ترميز هذا الإنتاج في طقوس تسهل عمليات التمثل والتلقي.(Wach J. 1955 :27)

كما أن للطقوس دور في تقوية اللحمة داخل المجموعة الطائفية، بحيث تحتوي الشعيرة على مغزى وظيفي مهم للمجموعة على الرغم من أن هذا ليس قصد المشاركين فيها، (عادل المختار الهواري. 1990: 68) لأنه فبفعل تكرار هذه الشعائر يتعزز تضامن الجماعة، وقد قال بارسونز في هذا. *«إن الناس بالتعبير الشعائري المشترك عن مواقفهم لا يعلنون عن عقائدهم فحسب بل يعززونها ، فأداء الشعائر يدخل هذه الأتباع في حالة من السمو الذاتي الذي يدفع بهم إلى درجة كبيرة من اللحمة التي يتقوى من خلالهم الوسط الأخلاقي الذي يعشون فيه»* (عادل المختار الهواري. 1990: 67) .كما يقول غاربييل لوبرا: *«أن ممارسة الطقوس والشعائر الدينية هي أكثر من مجرد فعل فردي، إنها فعل جماعي»*. ويضيف: « *إن تأدية الشعائر الدينية لا يعني الارتباط من خلالها بالقوى السماوية فقط، بل أكثر من ذلك، يعني الانتماء إلى نسق من الأخلاق العائلية والشخصية التي تتوطد أحكامها من خلال الصلاة والفروض الأخرى»* (عادل المختار الهواري. 1990: 69).

2- الطقوس التعبدية السلفية:

بالإطلاع على القانون الأساسي لجمعية الدعوة على القرآن والسنة التي تعد أكبرالتنظيمات السلفية في المغرب تصر أهداف الجمعية على الحفاظ على الطقوس الإسلامية الأصلية في مواجهة البدع الطارئة في مجال العبادة، فبعد التنصيص على أن هدف الجمعية هو «أن يحل الكتاب والسنة محل البدع الدينية، وذلك بفتح مدراس القرآن والسنة» ، يزيد القانون في شرح المراد من ذلك وهو:

- محاولة إحياء السنن التي نسيت في الأمة وإقامتها بدلا من البدع والمحدثات التي دخلت من غير الباب الرئيس على حين غفلة منها.

- محاربة البدع بكل صورها وذلك عن طريق الدعوة بالتي هي أحسن.

- توعية الأمة وتعريفها بواقعها وتحذيرها من الإلحاد والشرك وكل الانحرافات العقدية والخلقية.

- ربط الناس بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل لحظات الحياة.

وعلى المستوى الميداني تتجسد هذه الأهداف من خلال سلوكيات نموذجية تجب أن يجسدها الأتباع، فليست هذه السلوكيات قصدا مصرح به في متن الايدولوجيا الدينية السلفية فحسب، بل تعمل تقنيات البث تلك الإيديولوجيا على إثارتها لدى الأتباع باستمرار، بشكل يجعل من الأهداف البيداغوجية الكبرى لدى الجمعية هو النجاح في أن يعكس أداء الأتباع ذلك السلوك النموذجي المرغوب فيه والتعبير عنه بواسطة سلوكيات قابلة للملاحظة ، فالسلفي الحقيقي هو ذلك الشخص الذي يحرص على ظاهر الأشياء، ولا يقبل أن ينسب على التدين شيء مخالف لما هو نمطي ومحدد بقواعد.

وحسب السلفية، فإن من أسباب الضلال والانحراف والخطأ في الممارسات العبادية أن يتصور قوم استحباب أمر من الأمور يجعلونه دينا وشعارا لازما من شعار الصالحين وهو ليس كذلك، في حين أن النبي لم يترك شيئا يقرب من الجنة إلا وقد حدث به، ولا شيئا يبعد عن النار إلا وقد حدث به، (محمد المغراوي. 1991: 121) والاستزادة عن ذلك هو تطوير غير مشروع ومساس بمعنى من معاني التوحيد. فإذا كان الإسلام يقيم العقيدة على مقولة التوحيد ، فإن السلوك والممارسة ينضبطان بهذا المبدأ انضباطا مطلقا لا مجال فيه لإشراك غير الله في العبادة بأي طريقة سواء كانت صلاة أو تقربا أو دعاء...

وفي القاموس السلفي تطلق كلمة بدعة على كل تلك التجديديات الطارئة على مستوى العبادة والتي تفتقد على شرعية نصية واضحة،«*.. فما دمنا نعلم أن كل بدعة في دين الله وكل عبادة محدثة تضاهي العبادة الشرعية، في هيئتها أو دوامها*

أو غرضها فهي ليست إلا خلخلة لنظام التوحيد الذي أحكمه الله تعالى... ليست إلا مشاركة خفية لحق الله في التفرد بالتشريع للبشرية كلها ».(أحمد سلام. 1993 : 49)

لكن، ولما كان عموم المعيار الديني يرصد كل تجاوز للعبادات الشرعية في مفهموم البدعة، فيجب تفسير هذا المفهوم وتوضيحه وتمييز استخدام السلفيين عن المعنى الذي يكتسبه عند باقي اتجاهات الفكر الديني في الإسلام، فعند السلفيين يعني مفهوم البدعة يعني المحدثات التي لا أصل لها في القرآن وسلوك الصحابة. أما استعمالاته من طرف الفقهاء، فانصرف إلى اتجاه آخر ليعني كل مساس بالعناصر التي تمس خصائص الإسلام المحلي،(Mirad A. 1967 : 230-231) وذلك على خلفية أن كل طعن في التقليد العبادي من شأنه أن يحدث تشويشا وتصدعا في صفوف الجماعة، ولذلك اعتبر هؤلاء إنه من المصلحة المحافظة على الخصوصيات التي تطبع الممارسة العبادية همها كان درجتها من الصحة أو الضعف مقارنة مع العبادات الرسمية. (أحمد بودهان. 2001.)

من جهة أخرى، يوظف السلفيون مفهوم البدعة كثيرا عند حديثهم عن وسائل الدعوة، وخصوصا عندما يريدون تمييز منهجيتهم الدعوية عن تلك السائدة لدى الحركات الإسلامية، فإذا كان الكثير من الفاعلين في هذه الحركات يرون أن هذه الوسائل اجتهادية، بما يعني حرية الداعي في اختيار ما يراه مناسبا من الوسائل التي تحقق الصلاح و الهداية للمدعوين، يقول السلفيون أن وسائل الدعوة مبنية كلها على التوقيف ، ذلك أن حال الأمة الإسلامية لا يصلح عندهم إلا بما صلح بها الأولون وأصلحوا، فالطريق إلى إصلاح الناس هو السبيل الذي درج عليه النبي ودرج عليه صحابته. وهذه السبل هي على سبيل التحديد: الخطب المشروعة كخطبة الجمعة والعيدين، والحلقات العلمية، والإفتاء، والجهاد في سبيل الله، والنصيحة لائمة المسلمين وعامتهم. أما غيرها من الوسائل التي تستعملها الحركات الدعوية الأخرى فهي بدعية، كالسماع المجرد ، وتلحين القصائد، والتغني بها ، والتمثيل والمسرحيات، وغيرها مما اعتاد عليه الإسلاميون عند إقامتهم أنشطتهم

الدعوية. والخلاصة أن لا يجوز بحال اتخاذ وسائل دعوية غير شرعية لا دليل عليها في السنة ولا سوابق لها عند الصحابة.

وفي العمق، يدل هذا الاختلاف على وجود نوعين من التدين لدى الاتجاهين السلفي والإسلامي، فبينما يلتزم الاتجاه السلفي بأنواع محددة من العبادات الحصرية والمستندة على مجموعة من الواجبات الدينية، نجد عند الحركات الإسلامية نزعة تدينية متسامحة إزاء التطويرات التي تطرأ على الصيغ العبادية الأصلية، حتى ولو لم تجد لها سندا دينيا واضحا.

ومن داخل الاتجاه السلفي نفسه، نجد اختلافا من درجة الانتصار لصيغ معينة من العبادات، فإزاء القول السلفي التقليدي بأن الأصل في وسائل الدعوة هو التوقيف، يرى الاتجاه المعتدل خلاف ذلك، إذ تعتبر ان روح العبادة وسرها ليس هو أن يؤديها المسلم على وجه مخصوص، بل هو امتثال أوامر رسول الله والإذعان لشرع الله تعالى(عبد الله بن الطاهر، **عيد الفطر** ، خطبة جمعة ، ملقاة بتاريخ 1 شوال 1420ه.) ، منتقدا بذلك الاتجاه الأول على خلفية أن محاربة البدع وذمها أصبح بالنسبة له أكثر أهمية من التربية على العبادات الصحيحة.. ومناديا بضرورة التدرج في الدعوة وعدم الصدع بها، والتوجه نحو تكوين نخب من شأنها أن تمارس الدعوة على نطاق أوسع. ومن جانبهم يتهم السلفيون التقليديون هذا التيار على خلفية تساهله في نبد البدع وقبوله التعاون مع المبتدعين، فضلا عن إغفال إصلاح عقائد العامة.

أما بالنسبة للتيار الجهادي فيقيم سلما تفضيليا بين مختلف العبادات معتبرا أن الجهاد هو روح العبادة وأن الإقبال عليه هو الذي يحدد درجة الانتماء إلى الإسلام مميزا بذلك بين المسلم العادي الذي يؤدي فرائضه التعبدية، والمؤمن الذي يؤدي عبادة العبادات وهي الجهاد. (أبو قتادة [ON LIGNE]) وبذلك استطاع أقطاب السلفية الجهادية أن يزيدوا من راديكالية الأفكار السلفية التقليدية لكي تصبح سامية ومرغوبة بحماس، لكونها لا تقف عند التأدية الصحيحة للشعائر اليومية، ولكنها تتعدى ذلك لتؤهل الفرد للقيام بأعمال أكثر إيمانية تنفد ببطولة.

وعلى العموم، يبقى هذا الاختلاف بين التيارات السلفية استثنائيا إذ ينصرف عموم الخطاب السلفي إلى التشديد في ذم البدعة ودرها، يدل على ذلك استخدامه لبضع النعوت في مواجهته المجددين في مجال العبادة، ومنها: الإبتداع والزدقة والضلال.. ففي جواب للشيخ صالح بن عبد الله الفوزان، أحد الرموز السلفية المعروفة، عن سؤال: أيهما أشد العصاة أم المبتدعة؟ أجاب: «*المبتدعة أشد، لأن البدعة أشد من المعصية، والبدعة أحب إلى الشيطان من المعصية لأن العاصي يتوب، أما المبتدع فقليل ما يتوب، لأنه يظن أنه على حق، بخلاف العاص، فإنه يعلم أنه عاص وانه مرتكب لمعصية. أما المبتدع، فإنه يرى أنه مطيع، وأنه على طاعة فلذالك صارت البدعة والعياذ بالله شرا من المعصية، ولذلك يحذر السلف من مجالسة المبتدعة لأنهم يؤثرون على من جالسهم، وخطرهم شديد*». إلا على وجه فيه فائدة شرعية كدعوتهم إلى الإسلام الصحيح، وتوضيح الحق لهم لعلهم يرجعون.

وبشكل جد استثنائي، أجاز بعض العلماء السلفيين مسايرة المبتدعين إذا لحق الشخص ضرر من إظهارها كالتظاهر بالسدل في الصلاة واللباس الإفرنجي، لكنهم لا يسمحون بذلك عندما يتعلق الأمر بالطقس- الفريضة، مثل حلق اللحية أو تهذيبها مهما بلغ الضرر الناجم عن الالتزام بهذه الطقوس، وذلك تطبيقا لقاعدة السلفية القائلة، ومن هنا صاغوا قاعدة في هذا الأمر مفادها: «*يجوز إتباع المبتدعة في الأمور التي ليست بواجب، و لا يجوز ذلك في ما هو واجب*». (الألباني، رقم 591)

إن اهتمام السلفية بالعبادات والطقوس التي يجب أن يقوم بعكسها سلوك التابع وتطبيقها يعطي للإيديولوجيا السلفية بعدا متسجدا يجعل منها يوتوبيا مطبقة(Une utopie pratiqué) (Desroche H. 1974 : 145)، كما أن امتداد متطلبات المذهب السلفي إلى نواحي السلوك العبادي تحعل منه مشروعا ذي استراتيجية شاملة (Une Stratégie maximaliste) ترمي على إصلاح جميع أوجه الحياة الدينية اعتقادات كانت أو سلوكيات، تحمل السلفية إذن تصورا سلوكي (Comportementaliste) للحياة الدينية يتوجب أن تتحول التعليم السلفية إلى

سلوكيات ملموسة وليس إلى مجرد تعلق عاطفي لا علاقة له بالنصوص المؤسسة ولا أثر له في السلوك.

وإزاء الواقع العبادي الموجود، تعبر السلفية عن حركة رفض للتجليات الثقافية والسوسيولوجية للإسلام المحلي لصالح الانتصار للإسلام- الدين (Roy O. 1999 : 14-15) ، فبصفة ضمنية يقول السلفيون بأن الإسلام فقد على الأرض نقائه وصفائه الأصليين، ليصبح مرتُعا لأنواع من القداسة المحلية التي تستمد مشروعيتها من مجرد التأثر بظروف الزمان والمكان وليس من المقتضيات الأصلية للإسلام.

وفي مهاجمتهم لما يعتبرونه ممارسات بدعية، يستفيد السلفيون من فقدان الطقوس البدعية المستمر لمشروعيتها الاجتماعية في ظل الانقراض المتواصل لأشكال الحياة الاجتماعية التي ولدتها لتصبح طقوسا ممارسة بحكم العادة ومفتقدة لغائية معينة، اللهم ما تدره على بعض منظميها من خيرات مادية او رمزية، (نور الدين طوالبي.1988: 34) أما اختلاطها مع بعض النشاطات الدينية الشرعية، فلا يهدف سوى على ذلك الطقس تبريرا دينيا.

يدرك الدعاة السلفيون ما يعوز الطقوس التقليدية من ضعف نظري، (نور الدين طوالبي.1988: 37) أي عدم اندراجها في رؤية متجددة تبررها في أعين اتباعها، فقد فقدت الممارسة الدينية التقليدية الكثير من قوتها النظرية. ونتيجة لذلك، ما فتئ أتباعها المعاصرون يدافعون عنها باعتبارها سلوكيات مع تجريدها من أي تأسيس عقدي.

تعي الإيديولوجيا الوهابية جيدا هذا الغموض. ولذلك، فهي تتبنى في مواجهته إستراتيجية هجومية موزعة بين ثلاث مراحل: التركيز على هذا الغموض العقدي قصد بيانه في مرحلة أولى، وضع أتباعه أمام فراغ عقدي مرحلة ثانية، ثم بث المعتقدات السلفية على شكل إجابات متسقة تشبع الحاجة التي يتركها هذا الفراغ.

ومن خلال إدانتها للتعبد بالأولياء، ورفضها للزيارات والمواسم والطرق الصوفية، ومختلف المفاهيم المرتبطة بها، تضيف السلفية عنصرا اجتماعيا على

الطعن في الثقافة التقليدية، فعلاوة على الطعن في الانظمة الرمزية التي تكون المجتمع، تلغي أيضا للثمتلات التي تؤطر المعيش الاجتماعي للناس. لتعيد تشكيلها بما يتوافق مع معتقدها العام، وما ينتج عنه من نظرة حول العالم (أوليفيبه روا، 2003: 55)

وبغض النظر عن التبرير الديني الذي تستند إليه هذا الهجوم على الطقوس البدعية ، فإن له أثار سوسيولوجية وهي التقليص من قدر العبادات إلى حدودها الدنيا التي تتطلبه التعليم الدينية. ومن ذلك يمكن اعتبار السلفية نزعة عبادية تقشفية وحركة و احتجاج على التطويرات المحدثة قي مجال العبادة. فالتعظيم الشرعي للعبادة لا يتطلب لذى السلفية سوى التصديق بما اخبر عنه في الشرع، وطاعته فيما أمر، والابتعاد عما نهى عنه وزجر. أما المغالات في ذلك التعطيم فهو عين البدعة، لأن المطلوب من المكلفين هو الوقوف عند العبادات الواردة في القرآن والسنة وليس الزيادة فيها مقدارها أو ابتداع عبادات جديدة ، لينتهي الأمر بالسلفية على وضع مبدأ عام يلخص منظورها للعبادات وهو :«اقتصاد في سنة خير من اجتهاد في بدعة»(الألباني، رقم 591).

وبشأن بعض العبادات ذات النزعة الزهدية ، فيقع التأكيد على شرعيتها بدون إعطاء الزهد الذي تنطوي عليه قيمة ذاتية كما تفعل الاتجاهات الصوفية، فالإعراض عن الملذات الذي يقتضيه الصيام التطوعي لا يهيء سوى لكسب الخيرات الأخروية، كما أن الانعزال الوقتي الذي تتضمنه بعض العبادات مثل الاعتكاف يعتبر من وسائل التهذيب الشخصي. لذلك تؤكد السلفية ان تطبيق هذه العبادات التطوعية في الحدود الشرعية البحتة، هو الكفيل بإعطائها هذا العبد الديني الشرعي والحيلولة دون أن تكون موضوعا للتأويلات المنحرفة.

وكمثال عن طرق تعامل السلفيين مع بعض العبادات سنركز الحديث على موقفهم من الدعاء والذكر و الصلاة عن النبي. على خلفية أن هذه العبادات من أكثر الممارسات العبادية لا تقنينا، ذلك أن التعاليم الدينية لا تربطهما بسلوكيات معينة يجب أن تتمظر بها. إذ يمكن أن تؤتي هذه العبادات أكلها حتى مع عدم

انضباط القائم بها بالوجبات الشرعية الأخرى، وحتى مع عدم التفاني في عبادة الله. وهذه الدرجة من المرونة هي التي تجعلها أكثر العبادات تعرضا لتكون ممارسة بدعية بحسب التصور السلفي.

فبداية، وخلافا لطريقتهم المعتادة في إثبات صحة تصوراتهم الدينية، وهي البحث عن المقتضيات النصية التي ترد في المسألة المتحدث بشأنها، يبدأ السلفيون بانتقاد الطرق التي تجرى بها هذه العبادات. فالنسبة للدعاء، ينتقد السلفيون صيغ الدعاء التقليدية ومن أبرزها الدعاء الجماعي، فقد جرى التقليد على قيام واحد من أفراد الجماعة بالدعاء بما يشاء من صيغ الدعاء المأثورة جهرا مع رفع اليدين تضرعا، قبل أن يختم بالصلاة والسلام على الرسول وقراءة الفاتحة، مع مسح الوجه بباطن الكفين تبركا وتفاؤلا. (نشرة الائمة والخطباء. 2005: 21)

وخلافا لذلك، تعتبر السلفيون إن الدعاء عبادة توقيفية فلا يجوز الزيادة فيها ولا النقص، فهي قربة إلى الله يجب أن تؤدى كما علمها الرسول، والوقوف عند ما ورد عليه من صيغ الدعاء وأشكال تأديته (الدعاء الفردي- الدعاء بالهمس) أفضل تعبير عن محبته، أما الاستدراك عليه سواء بالزيادة أو النقصان فهو من أخطر الأمور كما ورد في ما صح من الحديث .

وبالمثل تنتقد السلفية الذكر الجماعي أو ما يسمى ب " الحضرة" في القاموس الصوفي، على أساس أن التغني بالذكر أمر مبتدع ليس من عمل الرسول أو الصحابة، خصوصا ما يؤدي إليه هذا الطقس من تقديس لشيوخ الطرق وبيعة لهم. في حين أن «*..البيعة لا تكون إلا لإمام المسلمين وخليفتهم بشروطها التي سيذكرها الإمام مالك في النصوص المرفوعة إلى النبي، فلهذا فما يفعله بعض الدجاجلة الصوفية في الاحتيال على الجهال والغافلين من بيعة بالأوراد، فهو عمل شيطاني لا أصل له في الكتاب والسنة..*» (محمد المغراوي. 1991: 16).

وبالنسبة للصلاة على النبي، تنتقد السلفية في البداية التعلق بالنبي القائم على مجرد التعاطف والذي لا دلالة له في السلوك ولا أثر له في المظهر، فمجرد التغني بحب النبي دعاء أو مدحا او صلاة أو مناداة به في الشدائد والتوائب لا ينهض

معيارا عن سنية الشخص، بل لا بد من الاقتداء به فكرا ومظهرا. وفي العمق، تريد السلفية عبر هذه الانتقاد إلى قطع الطريق عن الممارسات التي من شأنها تقليص مفهوم السنة إلى الحدود التي يعني بها مجرد التعلق العاطفي بالنبي، من دون إحياء لمجمل سنته.

وبالنسبة لصيغ الصلاة على النبي، فتجزم السلفية بعدم شرعية الإتيان بالسيادة عندما يذكر اسم النبي (اللهم صل على سيدنا محمد) لأنها مخالفة لما ورد في السنة، في مخالفة تامة لمن يرى أن ذكر اسم النبي الشريف من غير سيادة مناف للتعظيم الواجب إزاءه، علاوة على ما فيه من إساءة الأدب وقلة الحياء ما لا يخفى على كل ذي نور. (ميثاق الرابطة: 2003)

كما تعارض السلفية بشدة كل أنواع الصلاة عن النبي بغير الصلاة المحمدية (اللهم صل على محمد كما صليت..)، وهي الصيغة التي صلى بها النبي عن نفسه وصلى بها صحابته عنه، واضعين في صف البدعة معظم الصيغ التي تفنن المسلمون في وضعها، والتي تشكل في مجموعها تراثا أدبيا ودينيا غنيا ساهمت تراكمه الطوائف الصوفية على الخصوص.كما يبدع السلفيون كتابة (ص) أو(صلعم) مقرونة باسم النبي باعتبار ذلك ليس صلاة وإما هي بتر وتشويه للصلاة عليه صلى الله عليه وسلم (الحسين أيت سعيد .1997: 8).

وفي ما يتعلق بصيغ المدح النبوي ، فينتقده السلفية انقادا شديدا على خلفية أنه كان على الدوام مدخلا للعديد من الأوهام والخرافات المضللة المخلة بالعقيدة الإسلامية خصوصا في باب الصفات.

ولما كانت صيغ المدح والدعاء والذكر تجتمع عادة في نفس المتون، فان الكتب التي تحتويها تشكل مراجع خارجة عن الإسلام بالنسبة للسلفيين، لما فيها من كفر وشرك وإلحاد مما تتقزز منه النفوس السليمة لسخافتها ونتانتها. (الحسين أيت سعيد .1997: 9)

وبغض النظر عن المستندات الدينية للمواقف السلفية تجاه الصيغ التي تؤدى بها هذه العبادات، نلاحظ ان مبنى النقد هو ما تؤدي إليه تلك الصيغ من الزيادة

في قدر العبادات المتطلبة شرعا، مما يقود إلى التعود على تحويل ما هو مستحب إلى واجب وإلى إتباع العرف وتقنينه، وغير ذلك مما تعتبره السلفية مخالفة صريحة للشريعة الأصلية وإخلالا بعقيدة التوحيد.

وبالفعل فقد أثبتت التجربة أن التجديدات الطارئة على طقوس الإسلام يكون في الغالب بتأثير غلو نزعة الورع (Piétisme) عند الزهاد والصوفية، . خاصة في باب الدعاء حيث الزيادة في المقادير الأصلية والتفويج على الأوراد والأحزاب، لذلك فإن الأصل عند السلفية سد الباب بتبديع كل الممارسات العبادية، صلاة كانت او دعاء.. وغيرها من العبادات التي لا تستند على دليل شرعي موثوق.

وفي المغرب، يعد محمد المنتصر الريسوني من ابرز الأعلام المغاربة السلفيين الذين كتبوا في البدع، فلقد واجه الريسوني البدع بمنهجية تتلخص في التركيز على البدعة وذكر مصدرها ما أمكن والتحذير منها، ثم بيان حكم الشرع فيها بتقديم الدليل الصحيح من السنة يفضحها ويرد على ما يؤيدها من نصوص ضعيفة أو موضوعة وذلك بطرق النقد الحديثي المعروفة، وأحيانا كان يؤيد ذلك بأدلة من أصول الفقه دون الخوض في التفصيلات والأحكام الفقهية وتفريعاتها. وعلى أساس هذه الطريقة، ذلك أنتج الريسوني مؤلفات كثيرة نذكر منها، "لا حلق للذكر البدعي في الإسلام" وكتابه" وانهارت الطرقية" وكتابه "مباحث أصولية وحديثية في مواجهة الفكر البدعي"وكتابه "الإسلام والأضرحة"، كما كتب فيها من وجهة نظر فقهية في " حكم الشرع في الصلاة بالمقابر" و "دلالة الخطاب الشرعي في تحريم مصافحة الرجل والمرأة»و«وجوب توفير اللحية في الخطاب الشرعي"و" المسائل" (وهي مجموعة فتاوى في العبادات والمعاملات) و" دراسات فقهية". وكتاب«ما خالفت فيه المالكية السنة».

على أن كتاب "...وكل بدعة ضلالة" (محمد المنتصر الريسوني1998) بأجزائه الثلاثة يظل أهم ما كتبه في موضوع البدع فهو كما يقول: «*مدونة تحتوي مباحث كثيرة عن ظاهرة الابتداع في جميع المجالات، ودراسة عملت على استقصاء لكل المظاهر البدعية التي تهيمن على آفاق حياتنا*» (إسماعيل الخطيب. 2000)

ويلخص الجدول التالي أهم البدع الواردة في هذه الكتب والتي تخص العديد من العبادات. كما يوضح أوجه النقد الموجهة إليها سواء من طرف الريسوني أو من غيره من السلفيين.

الطقوس	انواع البدع	المناط
الصلاة	الجهر بالنية بتحريك اللسان قبل الصلاة- الآذان والإقامة في صلاة العيدين- الصلاة ركعتين في سعي الحجاج عند المروة بعد الطواف- إتحاد قبة أو مشهد ولي أو صخرة المسجد الأقصى كقبلة في الصلوات النافلة- عدم رفع اليدين إلى الكتفين أو إلى شحمة الأذنين مع كل تكبيرة- أداء ركعتين بعد الآذان اللهم إذا كانت تحية للمسجد في صلاة الجمعة- السدل- عدم البسملة والتعود في الصلاة- عدم رفع اليدين بعد الركوع- عدم ترك القدم اليمنى واقفة على الأصابع أثناء أداء التشهد- الاعتقاد بأن كشف الرأس في الصلاة يبطلها- عدم القبض بعد الرفع من الركوع- عدم قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في أول الفاتحة- عدم السبق بالركبتين قبل اليدين عند السجود- عدم التسليم مرتين- الجلوس للدعاء بعد الصلاة- عدم تحية المسجد بدعوى بدء الخطبة- القول بعدم جواز صلاة النوافل قبل صلاة المغرب، وجوب تلاقي أرجل المصلين- الهوي على السجود	عدم الالتزام بالسنة

	باليدين عوض الكعبين- الجماعة للنافلة....	
الجنازة	قراءة ياسين على المحتضر- توجيه الميت نحو القبلة- كشف الوجه وتقبيله والبكاء عليه ثلاثة أيام- لطم الخدود وشق الجيوب- المغالات في الكفن والزيادة على ثلاثة أثواب- وضع المصحف عند رأس المحتضر- إشعال الشمعة أو المصباح في مكان الميت ليلة وفاته إلى وقت الصبح- قراءة القرآن عند الميت مادام في الدار- تقليم اظافر الميت وحلق عانته- وضع القطن في دبره وفمه وأنفه- إخراج الصدقة بعد الدفن مباشرة- إدخال الميت القبر من جهة رأس القبر- تحديد التعزية بثلاثة أيام- زيارة قبر الأبوين كل جمعة- استئجار من يقرأ القرآن على الميت- قراءة الفاتحة بعد الانتهاء من الاجتماع لتعزية بباب المقابر من المدينة- التوجه إلى درا الميت لأجل لإقامة صف آخر لتلقي التعازي من طرف المقربين على الخصوص... (محمد المنتصر	الاعتماد على ضعيف الحديث- الكراهة- عدم الالتزام بالسنة

	الريسوني2001)	
الذكر	اعتبار الذكر وحده هو السبيل إلى الله تعالى- الذكر الجماعي- الادعاء بأن الذكر بالسماع تتلذ به النفوس وتستريح إليه - الالتزام بأنواع معينة من الأذكار (الورد)...	- الذكر يحتل المرتبة الثالثة في العبادات بعد الصلاة وقراءة القرآن- ادعاء وجود اللذة مردود وهو بمنزلة من يستدل به على اباحة الزنا بما يجد فاعله من اللذة.- إلهاء القلب عن التفكر في عظمة الخالق والقيام بخدمته(محمد المغراوي. 1991: 258)
الدفن وزيارة المقابر	تزيين القبور وتغطيتها بالرخام بالنقوش و بناء قباب فوقها- إشعال الشمع أو إنشاد الأناشيد أو تلاوة القرآن عليها- قراءة سورة ياسين عند الدفن، تلقين الميت الشهادة عند القبر- قراءة ياسين على المحتضر- توجيه الميت نحو القبلة- كشف الوجه وتقبيله والبكاء عليه ثلاثة أيام- لطم الخدود وشق الجيوب- المغالات في الكفن والزيادة على ثلاث أثواب- وقوف عند وسط الرجل وعند رأس المرأة في حين أن العكس هو الصحيح...	الإخلال بالوحدانية العمل بالضعيف من الحديث- عدم التزام السنة.
الاعتكاف	الادعاء بتهيئة المسلم لتلقي الوحي الذي هو في الواقع إلهام الشياطين...	التمرن على الجوع والسهر والصمت.

الحج	إفراد الإحرام بصلاة خاصة، التعبير عن نية الإحرام بصوت مرتفع- الالتزام بالاغتسال قبل ارتداء الإحرام- الطواف حول مقام إبراهيم أو حول قبور الأنبياء و الأولياء بالحج- الاعتقاد بوجوب الذهاب إلى مساجد منى ومكة والصلاة فيها - الطواف حول قبة آدم المقامة على جبل عرفة- تطلب السفر على مسجد قباء في المدينة على كل الحجاج..	عدم الإلتزام بالسنة
خطبة الجمعة	تثليث الآذان- قراءة حديث الإنصات قبيل خطبة الجمعة- ترك تحية المسجد والإمام على المنبر- قراءة القرآن بمكبرات الصوت قبل الآذان- رفع اليدين عند دعاء الخطيب...	عدم الالتزام بالسنة
الحلف	الحلف بالنبي والمصحف والولي والشرف والطعام...	تقديس اليمين البدعية والشركية
الصيام	صيام أول جمعة من رجب- صيام الخامس عشر من شعبان....	عدم التزام السنة

المراجع:

- مجلة الإشارة: ، السنة الرابعة، يونو- يوليوز 2003.
- إبراهيم أمونن، **السيادة في حق الرسول الكريم وأوجه موافقتها للسنة** (ميثاق الرابطة: السنة الرابعة، مايو 2003)
- ابن تيمية، **الفتاوى** ، الجزء 11، www.al-eman.com.
- أبو قتادة، **الجهاد والاجتهاد تأملات في المنهج**، منشور في الموقع الإلكتروني : http://www.altaefa.com/box/aljehad1/f.htm
- أحمد بودهان، **التوجه الديني الملتزم وخصوصياته في المغرب**، جريدة ميثاق الرابطة، العدد 967، 7 دجنبر 2001.

- أحمد سلام، **نظرات في منهج الإخوان المسلمين**، (الرياض: دار الكوثر، الطبعة 2، 1993)
.
- إدريس كرم، **حكم الإتيان بالسيادة فيما يبتكره الإنسان**(ميثاق الرابطة: العدد 1037، 10 أكتوبر 2003)
- إسماعيل الخطيب، **محمد المنتصر الريسوني الفقه الاصولي المواجه للبدع**(جريدة النور: العدد 416، السنة 27، نونبر 2000)
- الألباني، **مسايرة الحكام**، تسجيل صوتي ، تسجيلات جمعية الدعة على القرآن والسنة، الشريط رقم 591
- الحسين أيت سعيد ، **دارسة نقدية عن الغناء والمعازف. رد تفصيلي على كتاب " القول المنصف في الغناء والمعازف للأستاذ عبد الباري الزمزمي**(الدار البيضاء ، مطبعى إيباج، 1997)، ص 8.
- أوليفيبه روا، **عولمة الإسلام** ترجمة لارا يوسف (بيروت، دار الساقي، الطبعة الأولى، 2003)
.
- عادل المختار الهواري، **الأصول الاجتماعية التاريخية للظاهرة الدينية: نموذج المسيحية في أوربا.** (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1990) .
- عبد السلام مسيج **فالفوائد الجامعة في عدة مسائل نافعة، ، فائدة فقهية حول الدعاء عقب الصلاة ومسح الوجه باليد بعده** (نشرة الائمة والخطباء: وزارة الاوقاف والشؤون الإسلامية، العدد 11، 2005) . 21
- عبد السلام ناصر آل عبد الكريم، **الحجج القوية على ان وسائل الدعوة توقيفية**، منشور في الموقع الإلكتروني: http://www.burjes.com/burjes_books.php
- عبد الله بن الطاهر، **عيد الفطر** ، خطبة جمعة ، ملقاة بتاريخ 1 شوال 1420ه.
- للاستزادة ، راجع: محمد ناصر الدين الألباني، **تحذير الساجد من اتخاد القبور مساجد** (بيروت، الكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، 1393ه).
- للاستزادة راجع، تقي الدين الألباني، **صفة صلاة النبي،** منشور على الموقع الإلكتروني: http://www.islamway.com/arabic/images/maktaba/books/sifatsalah/fihris.htm
- محمد المنتصر الريسوني، **وصية في التزام السنة من الاحتضار على ما بعد الدفن** (جريدة النور 416: السنة 27، نونبر 2001)
- محمد المنتصر الريسوني، **وكل بدعة ضلالة** (تطوان: مطبعة النور، الجزء الثاني، 1998).
- محمد بن الأمين الحسني بوخبزة، **أربعون حديثا في النهي عن البناء على القبور والصلاة عليها** (الرباط: مطبعة طوب بريس، 2001).
- محمد ناصر الدين الألباني، **أحكام الجنائز وبدعها** (بيروت: المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة، 1986)

- نور الدين طوالبي، **الدين والطقوس والتغيرات** (بيروت: منشورات عويدات، الطبعة الأولى، 1988).
- هنري لاووست، **أصول الإسلام ونظمه في السياسة والاجتماع**. ترجمة، محمد عبد العظيم علي (القاهرة: دار الدعوة، الطبعة الأولى، بدون تاريخ).
- محمد المغراوي، **الأسباب الحقيقية لحرق إحياء علوم الدين بأمر من خليفة المسلمين ابن تاشفين** (مراكش: المطبعة والوراقة الوطنية، 1991).
- Desroche (Heni), *Les religions de contrebande*. (Paris : Repéres, 1974), p 145.
- Le Bras (Gabriel) : *Etudes de sociologie religieuse*.Tome 1, Sociologie de la pratique religieuse dans les campagnes française. (Paris : PUF , 1955).
- Mirad (Ali), *Le réformisme musulman en Algérie , essai d'histoire religieuse et sociale* (Paris: Mouton et Co.1967).
- Parsons (Talkot), *the Structure of social action: A study in social theory with special reference to a group of recent European writes* (Glencoe: Free press,1949), p 435
- Roy (O) , *Le post islamisme. (Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée*, n°85-86, 1999), pp.
- Wach (Joakhin), *Siologie de la religion*. (Paris, Payot, 1955).